بالصيغة وما فيها من إمكانات تعبيرية ، كما دارت حول طبيعة (التوصيل) بجهازه الثلاثي : المتكلِّم ، والمتلقي ، والنص اللُّغوي ، وقد فتح الجاحظ الباب للمحدَثين ليحتلوا مكانهم في المجال الأدبي ، كما هيأ لمحاولة رصد المعجم الشعري من خلال ملاحظاته الدقيقة على بعض الشعراء ، وكرد فعل لما صنعه الجاحظ ، انبرى الأصمعي متعصبًا للقديم ، ليحقِّق هدفًا مزدَوِجًا ، فهو أولا يسعى إلى تملُّق السلطة السياسية فيرضيها بهذا التعصب ، وهو ثانيا يدعم منزلته الخاصة باعتباره موئلا للقديم حفظًا ورواية ، ثم نقدًا وتقويمًا .

وسارت حركةُ النقد بين هذين التيارين تميل هناك تارةً مع ابن سلام ، وهنا تارة مع ابن قتيبة ، وتتوسط بينهما مع ابن المعتز ، وبفعل ذلك ظهرت الموازناتُ والمقارنات وسيطرت قضية السَّرِقات في كثير من مجالات الدَّرْس النقدي القديم .

وأعتقد أن ابن المعتز – على الرغم من تأصيله لكثير من فنون الأداء الشعري – قد هيأ لتيار الفكر اليوناني أن يؤثر في حركة النقد ، فكان قدامة ابن جعفر نتاجَ هذا التأثُّر في « نقد الشعر » بتحكيمه العقل والمنطقَ في عملية الإبداع الشعري ، كما تكفَّل ابن وهب في « البرهان في وجوه البيان » بجانب النثر ، فأوغل في المنطقية ، وقاس الإبداع بحدود العقل وقيوده الصارمة .

وربما كان هذا التأثير الوافد أحد العوامل التي هيأت للبلاغة أن تأخذ